## **النقــد الــنسقي وأعــلامـــــــــه**

**الـدرس العاشـــر/ الاتجـــاه البنيـــوي:**

لم ينبثق هذا الاتجاه في الفكر الأدبي والنقدي وفي الدراسات الإنسانية فجأة، إنّما كانت له إرهاصات عديدة، تخمرت عبر النصف الأول من القرن العشرين في مجموعة من البيئات والمدارس والاتجاهات المتعددة والمتباينة مكانًا وزمانًا، ويمكن أن نتتبع الروافد البنيوية بإيجاز:

**أولا/ مدرســة جنيـــف:**

وهذه المدرسة هي التي أعطت الشرارة الأولى للبنيوية، والفكر الألسني عموما، والفضل ـ كل الفضل ـ في ذلك إنّما يعود إلى الرائد الأول للألسنية، العالم اللغوي السويسيري( **فرديناند دي سوسير**: 1857-1913) الذي كانت محاضراته تجسيدا لهذه الريادة، والتي جمعها طلبته بعد وفاته، في كتابه(**محاضرات في اللسانيات العامة**): (COURS DE LINGUISTIQUE GENERAL) . فشكلت آراء **"** دي سوسير**"** في مطلع القرن العشرين، حيث وجهت البحث اللساني نحو العلمية، ووضعته على مدارج النظريات العالمية، فقد ضبط كثيرا من المسائل اللغوية وربطها بالأصول والمبادئ، ووضع أمامها ثوابت اللغات الطبيعية المتمثلة في(**الثنائيات**)التي ميزت نظريته ووصفت بالانسجام والشمول، فقد حدد موضوع الألسنية الحقيقي الملخص في مقولته<< إنّما هو اللغة في ذاتها ولذاتها>>. ـــ *ـــ ومن أهم الثنائيات التي ساقها "دي سوسير" في نظريته ما يلي:

**1**- ثنائية اللغة والكلام : إذ ميّز " دي سوسير" بين مجموعة القواعد والمبادئ المتصلة بلغة ما، والتي تعمل في ذهن الجماعة، وتمثل النموذج المرجعي للغة وبين الممارسات التي تبرز في أداء الأفراد وحديثهم اليومي والتي يطلق عليه( **الكلام**). إذْ أنّ الكلام عمل فردي آني مشتت يقع في زمن متغير، بينما( **اللغة**) نموذج جماعي ذهني لا يبرز على سطح الحياة، وهو الذي يحكم عمليات الكلام، ويمثل مرجعيته التي يحتكم إليها. إذْ أنّ الفرد وحده لا يستطيع خلق لغة ولا تعديلها، فاللغة على أساس نوع من العقد القائم بين أعضاء الجماعة والفرد في حاجة إلى تعلمها وتوظيفها.

ولا ريب أنّ كلا من ( اللغة والكلام) مرتبطان، إذ يفترض أحدهما الآخر، فاللغة ضرورية كي يصبح الكلام ملموسًا وتترتب عليه جميع نتائجه، كما أنّ الكلام ضروري كي تقوم اللغة، ويعتبر (الكلام) هو الممارسة الفردية الفعلية للغة، ويقتضي فيه أن يكون محققًا لنظرية التواصل، وشرطه في ذلك وجود متكلم ومستمع. أمّا (اللغة) فهي أشبه ما تكون بمؤسسة اجتماعية، وأنّها موجودة في عقول الأفراد الناطقين بلسان واحد، وهذا الوجود الجمعي يعني جملة من القواعد والقوانين التي يمتلكها الناس عن لغتهم.

**2**- ثنائية المحور التاريخي التطوري والتزامني الوصفي:

أ – **المحور التاريخي التطوري:** وهو الذي يرتكز على دراسة الظواهر في مسارها وصيرورتها وتحولاتها المختلفة، فالمنهج التاريخي حركي تطوري يتتبع الظاهرة عبر الأزمنة المختلفة.

ب – **المحور التزامني الوصفي:** يعنى بتحليل نظام الظواهر في لحظة زمنية معينة بغض النظر عن تاريخها وتطورها اللاحق، بمعنى أنّه يتناول جميع المظاهر التي تتصل بأوضاع النظم اللغوية من الوجهة الوصفية، إنّ الذي يحدث تغييرًا في اللغة ليس هو الزمن، بل الجماعات البشرية التي تملك قوة التغيير والتوجيه.

**3**– ثنائية الدال والمدلول: يمثل الدال الصورة السمعية للمدلول الذي هو الصورة الذهنية أو المفهوم الذي يحيل عليه الدال. فالطريقة الوصفية التي تعامل بها " دي سوسير" مع اللغة من حيث نسق ترابطها الداخلي لا من حيث تعاقبها وتطورها التاريخي.

**4**– ثنائية علم اللغة الداخلي وعلم اللغة الخارجي: وكان لهذه الثنائية أثرها في الفكر اللغوي والإنسانيات بصفة عامة، هي التمييز بين علم اللغة الداخلي وعلم اللغة الخارجي، وهذا الأخير يرتبط بالعلاقات والبيئات والأوضاع الخارجية المتصلة بالحقائق اللغوية. أمّا علم اللغة الداخلي فمرتبط بالقوانين المنبثقة من اللغة ذاتها بغض النظر عن الإطار الخارجي.

**ثانيا/ مدرســـة الشكلانييـــن الروس:**

وتعدّ هذه المدرسة الرافد الثاني من روافد البنيوية الكبرى، ففي عام (1915)، قامت مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة (موسكو) بتشكيل "حلقة موسكو اللغوية"، وبعد عام انضمت إليها "حلقة بيترسبورغ " ( لنينغراد) والتي كانت تسمى"الأبوجاز"وتعني( **جمعية دراسة اللغة الشعرية**)، ومن هاتين الحلقتين اللتين كان يجمعهما الاهتمام باللسانيات والدفاع عن الشعر الجديد تشكل " الشكلانيون الروس"( FORMALIST RUSSES)، وتتفق ـ أو تكاد ـ معظم البحوث التي تناولت أعمالهم على أنّهم قاموا بدور ريادي في التأسيس للنقد الجديد، يتلخص في اعتمادهم مفهوم الأدبية على النحو الذي أوضحه (رومان جاكبسون) و( يوري تينيانوف) سنة 1928، في خصوص العلاقة بين نماذج التحليل اللغوي والأدبي. حيث استبعدت النقد الإيديولوجي الذي نظر إلى الأدب على أنّه مجرد إيديولوجيا، فدعت إلى حصر مجال الدراسة الأدبية في النص الأدبي والاهتمام بالعلاقات الداخلية التي تنشأ بين عناصره معتبرة إياه << نظاما كليا من الاشارات أو بنية من الاشارات تخدم غرضا جماليا>>. وقد كانت هذه المدرسة تقاوم (النزوع الايديولوجي) الذي صاحب وأعقب (الثورة الاشتراكية1917) لذلك ركزت هذه المدرسة مفاهيمها على دراسة الشكل الأدبي ودلالاته. وكانت تحليلاتهم لمفهوم الشكل الأدبي قريبة جدا من مفهوم البنية.

**ثالثا/ حلقــة براغ التشيكيـــة (1926–1948):**

انتقل ميراث الشكلانيين الروس إلى" تشكوسلوفاكيا" من خلال حلقة براغ اللغوية، بفعل" رومان جاكبسون" الفار من الاضطهاد الماركسي، وقد قدمت إسهامًا بنيويًا فعّالاً يجنح نحو التخلص من الشكلية البحتة، وبداية

الاهتمام بالسياقات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية... وكانت هذه الحلقة باعثًا على نشوء حلقات أخرى، فقدمت ميراثًا بنيويًا معتبرات مثل"حلقة كوبنهاجن" بالدنمارك، ومن نقادها ( بروندال سنة 1931) و"حلقة نيويورك" ومن نقادها( بلوم فيلد، وتشومسكي سنة 1934).

*ــ إنّ هذه الروافد البنيوية لم تأخذ صيغتها المنهجية إلا مع المدرسة الفرنسية ممثلة بجماعة( **تيل كيل:** TEL QUEL) ومجلتها الموسومة بالاسم نفسه والتي أسسها الناقد الروائي(**فليب صولر**) سنة 1960 وكان من أبرز نقادها( رولان بارت ـ ميشال فوكو ـ جاك دريدا ـ جوليا كريستيفا...)، وقد قامت هذه المدرسة بدور كبير في تنمية الدراسات السردية ونشرت مجموعة من التحليلات النصية تكشف عن إمكانات جديدة للمقاربة للنص السردي بطرائق لم تكن معهودة من قبل.

*ــ وعموما فالبنيوية منهج نقدي ينظر إلى النص على أنّه بنية كلامية تقع ضمن بنية لغوية أشمل، يعالجها معالجة شمولية، وذلك في رؤية نسقية تنظر إلى النص مستقلا عن شتى سياقاتها بما فيها مؤلفه، وهذا لكي يضعوا حدًّا للتيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب ونقده، فالتركيز كل التركيز على النص ذاته بغض النظر عن مؤلفه أيًّا كان هذا المؤلف والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتصلة به، فهي تكتفي بالتركيز على النص ذاته وتفسيره تفسيرا داخليًا وصفيًا مع الاستعانة بما تَيسّر من إجراءات منهجية. كما أنها جاءت ردّ فعل مباشر على مناهج أفرطت في إعطاء الأولوية للمضامين والأفكار وسياقاتها، وفرّطت في بنية النص وخصوصيته، لذلك جاءت البنيوية (التكميلية) أو (التوليدية) على يد " لوسيان غولدمان" لتجدد الدم في البنيوية الشكلية وتعطيها دفعا جديدا. حيث نجدها تصطبغ بلون (جدلي ماركسي) واضح، وهو يلخصها بدوره في ثلاث نقاط هي: **الضرورة الاقتصادية** و**الوظيفة التاريخية للطبقات الاجتماعية** و**الضمير الممكن**. وبهذا فإنّ الاتجاه ( التوليدي) يربط بين مشكلة البنية وقضايا (الفكر الجدلي الماركسي) مما يعتبر تحويرًا لها يرفضه عادة بقية البنيائيين، لأنّه يخلط بين البنية والتاريخ... .

***ــ الاتجاه البنيوي في الخطاب النقدي الجزائري:**

وإذا كانت سنوات الخمسينيات والستينات من القرن العشرين، هي عهد الرخاء البنيوي في أوروبا، فإنّ البنوية لم تظهر في الجزائر إلا مع بداية الثمانينيات من القرن العشرين من خلال الجهود القيمة التي قدمتها طائفة من النقاد المحدثين. ولا يختلف اثنان في خصوص ريادة الدكتور**"عبد الملك مرتاض"** للبنيوية وما بعد البنيوية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر في محاولة منه للمعايشة بين الثقافة العربية والتراث والثقافة الحداثية الغربية. فقد أعلن"عبد الملك مرتاض" ثورة عارمة في الممارسة النقدية الجزائرية الذي كان كثيرا ما هيمنت عليه الدراسات السياقية في الكثير من الممارسات، وهي دعوة صريحة إلى التوجه إلى البنيوية( رولان بارت ـ جاك دريدا ـ غريماس ...) ومن هنا بدأت موجة الدراسات البنيوية تغزوا حقل القراءة والاهتمام من طرف الباحثين الجزائريين.

فقد أصدر"عبد الملك مرتاض" كتاب (الألغاز الشعبية الجزائرية) و(الأمثال الشعبية الجزائرية ) سنة1982، و( النص الأدبي من أين وإلى أين) وغيرها من الدراسات التي اعتمد فيها "عبد الملك مرتاض" المنهج البنيوي وما بعد البنيوي.

* كما نجد تجربة الدكتور "عبد الحميد بورايو" الذي قد مارس النقد البنيوي في دراسته (القصص الشعبي في منطقة بسكرة) سنة 1986.

* ومن النماذج أيضا كتاب ( بنية الخطاب النقدي) للدكتور: حسين خمري.

*وكتاب ( البحث عن النقد الأدبي الجديد) : للدكتور محمد ساري .... وغيرهم.